إحياء الروح العسكرية

فى الشرق العربى

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الروح العسكرى فى الزمن القديم شىء
والروح العسكرى فى هذا الزمن شىء آخر

كانت الحياة الحربية فيما مضى مسألة معيشة وموقع فى بعض الأحيان ، فالقبائل المترحلة التى تعيش من لحوم الماشية وألبانها وأوبارها كانت تندفع الى الحرب بحكم الضرورة لأنها تحتاج الى غزو المواقع المخصبة و إجلاء سكانها عنها ، كما تحتاج الى غزو المدن العامرة للنهب والسلب و إرضاء بعض المطالب الموقوتة

ومن الخطأ أن نبالغ فى تقويم هذا الضرب من الشجاعة فان العسكريين الحديثين يسمونها شجاعة « الدقائق العشر » أى الشجاعة التى تظهر فى الاغارة الأولى ، فاذا نجحت ثابرت على المطاردة والتمثيل بالأعداء ، واذا فشلت لاذت بالهرب وأظهرت من الجهد فى الفرار بمقدار ما أظهرت قبل ذلك من الجهد فى الاقدام

و يشبه هذا الخطأ أن نحسب الشجاعة هنا شجاعة « أقوام » أصيلة فى الجنس أو فى القبيلة . فان قبائل المغول التى تقيم بآسيا الوسطى من جنس واحد ولكنها تختلف فى الميول الحربية باختلاف الموقع والمعيشة ، فما جنح منها الى الزراعة والعمارة لا يهوى الحرب كما يهوى الذين جفوا من أبناء عمومتهم على حياة الترحل والبداوة . وقس على ذلك عامة القبائل فى عامة البلدان

وربما كانت الحياة الحربية أحياناً مسألة من مسائل الصيد والمناجزة بين الانسان وضوارى السباع . وقد وصف لنا الكاتب الروسى الكبير ليون تولستوى فى روايته « الحرب والسلم » بطلا ظافراً لم يكن وثوبه وراء الأعداء مخاطرة بالنفس ولا ولعاً بالموت ، و إنما كان اندفاعا مع غريزة المطاردة كما يندفع وراء الصيد كلما أمعن فى الهرب والروغان . وحرب القبائل

« الصائدة » نوع من الطراد يغلب فيه اللعب على الجد ، ووحى الغريزة على وحى الارادة والتفكير

وخير من هذا وذاك من ضروب « الروح العسكرى » فى الزمن القديم ذاك الذى يقترن بالعزيمة والجلد والقدرة على العمل والأنفة من العجز والهزيمة . فهذه الخلائق لا تكسب كلها فى ميدان القتال ، بل كثيراً ما تكسب فى ميدان الحياة اليومية وتأتى من رياضة النفس أجيالا بعد أجيال على تذليل العقبات الطبيعية ومقاومة الأخطار وتوطين العزم على الشدائد ، وهـذا هو الروح العسكرى فى أرفع درجاته وأكرم صفاته ، لأنه يدل على قوة متمكنة فى الطبع شائعة فى أنحائه لا تنحصر فى ساعة الحرب ولا فى الخصومة والعدوان ، ولـكنها تلازم صاحبها فى السلم كما تلازمه فى الحرب وتعينه على الخلق والانشاء كما تعينه على القمع والتقويض

* * *

ذلك مجمل ما يقال عن بواعث « الروح العسكرى » فى الزمن القديم ، فهل فى الوسع خلق هذه البواعث أو اصطناعها حيث يريد الساسة أو المصلحون ؟

كلا ! انها لا تخلق ولا حاجة بنا الى خلقها فى العصر الحاضر لاحياء « الروح العسكرى » بين أمم « الشرق العربى » وشعوبه

فالحرب الحديثة « أولا » عمل آلى يكاد يقتصر على ادارة الآلات والتزام الخنادق وتنفيذ الخطط بالاجماع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والأمم العربية « ثانياً » قد نشأت نشأتها وتقدمت فى أطوارها وتجاربها ، فما كان منها بدويا فهو محتاج الى تربية حديثة غير التربية القديمة للانتفاع بشجاعته وصبره على الشظف والخشونة ، وما كان منها حضريا فهو لا يستفيد بالرجوع الى معيشة البداوة والترحل ولا يتزود للحرب بما كان يتزود له آباؤه السابقون

انما اللازم لاحياء « الروح العسكرى » فى العصر الحاضر ثلاثة أمور :

أولهـا ـ التدريب على احتمال الشدائد ورياضة الأعضاء

وثانيها ـ النظام وما يقتضيه من الطاعة

وثالثها ـ المثـل الأعلى الذى فى سبيله تهون الحياة ومن أجله تنهض الأمم بالخسائر والضحايا والأعباء

ولا بد أن يبدأ الاستعداد لذلك كله من أوائل أيام الطفولة ، فيراض الطفل الصغير على

الألعاب ، وينتظم فى الفرق النظامية التى تتعود اتباع القواعد والقوانين ، ويتلقن المبادىء الوطنية الشريفة كما يتلقن المبادىء الانسانية العالية التى لا تناقض بينها فى الحقيقة وبين حب الوطن والغيرة عليه والنقمة من أعدائه والرغبة فى قتالهم اذا دعاه الى ذلك داعى النخوة والمروءة

ان الشرق العربى ـ أى الناطق بالعربية ـ يشتمل مع التوسع على المصريين والمغاربة والسوريين والعراقيين وسكان شبه الجزيرة . وهؤلاء جميعاً لم يسبق من تاريخهم البعيد أو القريب ما ينفى استعدادهم « للروح العسكرى» وصلاحهم للجندية وتجييش الجيوش

فالمصريون فى عهد الفراعنة أو فى عهد العرب أو الترك أو العهد الحاضر كانوا جنوداً مشهوداً لهم بالصبر والنظام ، وحاربوا فأحرزوا النصر مع كثير من الأعداء الذين اشتهروا بالبأس والمجازفة وقلة الهزيمة ، وهم لما تعودوه من طول المعيشة الحضرية أهل لأن يراضوا على معيشة الجيوش المنظمة والطاعة للأوامر والمعرفة بفنون الميدان

والمغاربة سواء كانوا من البربر أو من العرب ينتمون الى أقوام عرفت فى الزمن القديم بالنضال والمقاومة والغارة على الأعداء واتقاء الغارات ، فاذا حسن نظامهم على النمط الحديث فهم أهل لأن يحاربوا أحسن الجنود بين أرقى الشعوب ، وقد برزت منهم خصال الجندية النافعة فى الحرب العظمى كما برزت فى قتال الفرنسيين والاسبان ، فاحياء الروح العسكرى عندهم لا يحتاج الى اكثر من الرغبة والتدريب

والسوريون والعراقيون معظمهم من أبناء القبائل أو أبناء الجبال والبوادى وهم حربيون ، بحكم العادة والتاريخ ، والقليل المتحضر منهم معروفون بالعزيمة والاقتحام وقد يحتاجون فى الهجرة البعيدة الى عزيمة والى اقتحام أكبر مما تحتاج اليه الجنود

أما العرب من سكان شبه الجزيرة فشجاعتهم المعهودة لم تتغير مع الزمان ، والوهابيون المعاصرون لا ينقصون عن المجاهدين فى صدر الاسلام من حيث الايمان والاستخفاف بالحياة وليس فى حثهم على القتال صعوبة تحتاج الى معالجة وتدبير ، وإنما الصعوبة أن يساسوا فى الجيوش العصرية على النظام الحديث ، وهذه صعوبة لم يثبت بعد انها عصية على التمهيد

هذه هى شعوب الشرق العربى على الاجمال ، ولم نذكر بينها السودانيين لأنهم إما من العرب أو من المصريين وحكمهم فى هذا الأمر حكم هؤلاء وهؤلاء ، أما أبناء البلاد الحاميون فصلاحهم للتجنيد حقيقة تسايرت بها أقوال الثقات الأوربيين

فكل هذه الشعوب ليس فيها ما يمنع النجاح فى الجندية والظفر فى ميدان القتال ،

وليس بعسير عليها أن تستعد بالسلاح والتدريب وتتأهب للطوارىء والمشكلات

انما يحق لنا أن نتريث قليلا عند المثل الأعلى الذي تدين به هذه الشعوب ، ولا بد منه لكل شجاعة انسانية تريد الترفع عن شجاعة الحيوان أو حركة الآلة المجردة من الشعور والرجاء

فهل يكون هذا المثل الأعلى وطنيا يدين بالعصبية القومية ؟ أو يكون دينياً تختلف فيه العناصر المؤلفة للوطن الواحد ؟ أو يكون عربيا قائماً على الجنس أو اللغة والثقافة ؟ أو يكون انسانياً يسعى الى التضامن بين بنى الانسان والضرب على أيدى المفسدين بين الأمم بالبغى والعدوان ؟

هذه هى العقدة فى مسألة التربية العسكرية التى يشب عليها الطفل من سنواته الأولى الى أن يبلغ سن الجندية ، فما هو المثل الأعلى الذى نختاره لابنائنا فى الشرق العربى بين تلك الأمثلة العليا

ان العصبية العمياء لا خير فيها سواء فى الوطن أو فى الدين ، ولكننا نستطيع أن نجمع بين الأصلح الأصلح والأشرف الأشرف من هذه الامثلة جميعا اذا نحن لقنا أبناءنا مبادىء الوطنية الصادقة المحببة لبنى الانسان ، وجعلنا العدوان منكراً لا نرضاه لأنفسنا ولا نرضاه من أحد علينا ، ويتيح لنا أن نوفق بين المصلحة الوطنية والمصلحة الانسانية ، أو بين التشيع للوطن والتشيع للأخلاق . اننا جميعاً فى الشرق العربى ضحايا العدوان وليس بيننا شعب واحد تقوم حياته على العدوان . ومن بغى على جار من جيرانه بين هذه الشعوب فهو أدنى الى أن يبوء بالفشل والخسارة ويندم على ما جناه

ان احياء « الروح العسكرى » فى الشرق العربى لا يكلفنا كما قدمنا بعثاً جديداً فى الطبائع أو تبديلا عنيفاً لحكم الوراثة ، وإنما يكلفنا أن ننبذ الدعة ونتعود نبذها من أيام الطفولة الباكرة ، وان نألف النظام فنتعلم منتظمين ونلعب منتظمين ونتجمع فى المناسبات العامة ، منتظمين ولا نأنف من طاعة الرؤساء لأنها فى عرف النظام لا تختلف عن اصدار الامر الى المرءوسين ، وأن ندين بمثل أعلى هو مثل الكرامة الوطنية الذي لا تناقض بينه فى الحقيقة وبين الكرامة الانسانية ، ونحن بعد ذلك عسكريون كأشرف وأصلح ما يكون العسكريون من خدام الأوطان وخدام بنى الانسان

عباس محمود العقاد